الالحاد الجديد قراءة في بنية المعتقد

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

تاريخ الاستلام: ١٣/ ٧/ ٢٠٢٢
تاريخ القبول: ٢١/ ٧/ ٢٠٢٢
تاريخ النشر: ١/ ١٠/ ٢٠٢٢

الكلمات المفتاحية:
الالحاد، البنية المعرفية، القيمة المنطقية، الشرور.
DOI: 10.57026/mjhr.v2i2.41

ملخص البحث:

من الظواهر المعاصرة ظاهرة الالحاد الجديد، وهي من اخطر الظواهر التي أفرزتها تطورات الحياة المدنية المعاصرة ومن أجل الوقوف على حقيقة الإلحاد الجديد لابد من النظر في الأسس والبنية المعرفية التي شيّدت عليها أركان اعتقاده بعدم وجود خالق لهذا الكون، وقد استند في بنيته المعرفية الالحادية على انكار وجود الخالق لهذا الكون على ثلاث فرق من الفلاسفة كمصدر معرفي أول ليثبت عدم ثبوت أدلة وجود الله ، كان الفريق الاول يتبنى القول : على أنّه ليس هناك أي منهج معرفي يصلح ليثبت مسألة وجود الله ، أمّا الفريق الثاني يتبنى القول : بعدم صلاحية أية مبادئ أو أدلة تثبت ما هو خارج نطاق دائرة الحس والتجربة أمّا الفريق الثالث فقالوا : أنّ الفيزياء التجريبية أو ما يسمى بنظرية الكم قد أثبتت بعدم وجود أية مبادئ مطلقة الصدق في الابحاث الفيزيائية الكلاسيكية ، فضلاً عن تلك المبادئ التي تثبت كأدلة على وجود الخالق لهذا الكون .

أمّا المصدر الثاني (الشرور) كدعوى يطرحها الملحدون على إقامة الدليل على عدم وجود خالق لهذا الكون .

والمصدر الثالث امتناع قبول فكرة (أله) في الغيب ، حيث اخضعوا المعرفة بالله الى العلم التجريبي ، فلا شيء خارج حدود التجربة . وعند النظر في هذه المصادر الثلاث وجدنا أنها لم تبنَ على وفق منطق عقلي ، بل اعتمد الملحدون على أقوال لم تمحص و مفاهيم تصورية ، لم تكن لها قيمة منطقية .

الالحاد الجديد قراءة في بنية المعتقد

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

The new atheism Reading in the structure of belief

Kareem Abd Hamzah Al-Kilabi / Al-Toosi University College

Received: 13/7/2022
Accepted:21/7/2022
Published:1/10/2022

Keywords:
Atheism, cognitive structure, Boolean value, the sources of atheism, evils

Abstract

Among the contemporary phenomena is the phenomenon of New Atheism, and it is one of the most dangerous phenomena produced by the developments of contemporary civil life. The existence of the Creator of this universe on three groups of philosophers as a first source of knowledge to prove that the evidence for the existence of God is not proven. Proving what is outside the sphere of sense and experience. As for the third group, they said: Experimental physics or the so-called quantum theory has proven that there are no absolute truthful principles in classical physical research, in addition to those principles that prove as evidence for the existence of the Creator of this universe.

As for the second source (evil) as a claim put forward by atheists to establish evidence that there is no creator of this universe.

The third source is the refusal to accept the idea of a "god" in the unseen, as they subject knowledge of God to empirical science, so nothing is outside the limits of experience. When looking at these three sources, we found that they were not based on rational logic, but atheists relied on unexamined sayings and conceptual concepts, which had no logical value.

الالحاد الجديد قراءة في بنية المعتقد
م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

تمهيد البحث

من الظواهر المعاصرة ظاهرة الالحاد الجديد ، وهي من اخطر الظواهر التي أفرزتها تطورات الحياة المدنية المعاصرة ، وعلى امتداد تاريخ البشرية نجد أنّ الإلحاد من نتاج النزعة التنويرية القائمة على تمجيد العقل و تأليهه واعتباره الحاكم على كل شيء ولا رادَ لحكمه ، وغالباً ما تأخذ هذه الظاهرة سماتها من روح الحضارة التي تنبثق منها . فمثلاً وبما انّ الدين في الحضارة اليونانية قائم على الوثنية نجد أنّ الالحاد هو نتاج للنزعة العقلية المتطرفة عند السفسطائيين ، كما نجد ذلك جلياً بأقوالهم :(إنّ الآلهة المقيمين في المكان المقدس قد ماتت)[١]

ليعبروا عن رفضهم لمبادئ الدين أو للدين بصورة عامة ، وما يربطهم بالآلهة . وأما الحضارة الغربية المنغمسة في الماديات والتطور المادي وبعد السحق والتخلف واضطهاد الكنيسة للإنسان الأوربي باسم الدين والتدين ، كان نتاج ذلك أن يتمرد ذلك الانسان على ذلك الدين الذي كان يُصوَّر على انه قانون الله في الارض ، بما فيه من الانتهاكات لحقوق الانسان ، وتناقضه بل ورفضه لكثير من النظريات العلمية ، و الاصرار على جعل الدين تحكمه الاساطير والخرافات . فنتج عن ذلك ان يتمرد الانسان الاوربي على ذلك الدين بعد النزعة التنويرية في القرن الثامن عشر الميلادي لأنه وجد ضالته – بعد الكبت – في العلم ، والعلم التجريبي بالتحديد ، الذي أصبح هو الإطار العام للبنية المعرفية للإنسان الغربي ، وأمّا ما هو خارج هذا الاطار من الغيبيات والقيم الاخلاقية فلا قيمة لها ، لأنه – أي الانسان– ينشد التطور والتقدم ، والدين والقيم الأخلاقية ثابتة ، وهو لا يطيق الثبات في عملية التطور والتقدم المتسارع في الحياة . فكان نتيجة ذلك أن يرفض أي علاقة بالله تُحد من حرية الإنسان المطلقة سواء كان الدين أو القيم الأخلاقية ، وبالتالي وصل الأمر الى انكار وجود الله أو على أقل تقدير إلغاء دوره في عملية التدبير لهذا الكون و كما عبر عنه نيتشه بقوله : (مات الله)[٢] ، ولكن نلاحظ من هذا الادعاء (بموت الإله) اعترافاً بوجوده قبل الموت ، وهذا الموت أمّا ان يكون كناية عن عدم التأثير في الكون بعد الخلق ، أو هو الاستغناء عنه في عملية التدبير بعد التطور الحاصل في العلم ، وهي نظرة مستوحاة من عقدة بروميثيوس الاسطورية . بينما لو نظرنا الى الإلحاد في العالم العربي فنجده مختلفاً تماماً فهو لم يكن نتاج

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

لنزعة تنويرية بل هو خطاب أدبي ليعبر عن الكبت الحاصل نتيجة الواقع المتردي والنكوصية في التفكير . ومن أجل الوقوف على حقيقة الإلحاد الجديد لابد من النظر في الأسس والبُنى المعرفية التي شُيّدت عليها أركان الإعتقاد بعدم وجود خالق لهذا الكون .

وقبل كل شيء لابد ان نقف على المعنى المراد من كلمة (الالحاد) المستعملة في الوقت الحاضر وجذوره التاريخية ، حيث إنّ هذا المفهوم تطور بتطور معنى الإيمان ، وإذا ما بحثنا في الزمن السحيق عن معنى الالحاد وجدناه يعني الميل عن الايمان بالإله ، أي أنّ الإلحاد يعني الإيمان بالتوحيد ، وما تهمة (سقراط) إلاّ أنّه كان موحداً ، فأُعدم بتهمة الإلحاد ، وكذلك وقفة بسيطة على مفهوم البنية المعرفية ، ليتبين لنا هشاشة الركائز الاعتقادية للإلحاد وقيمتها المنطقية .

المبحث الاول : الجذور التاريخية للإلحاد .

المطلب الأول : تعريف الالحاد في اللغة :

نجد في معاجم اللغة أن المعنى اللغوي للإلحاد هو المَيْلُ عن القصْد ، وهو ما أكده القران الكريم كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [٣] ،"أي أنّ من لحد في الدين لحدًا، وألحدَ إلحادًا، لمن مال عن القصد وعدل وجادل ثمّ ظلم" [٤] ، وهنا الظلم يعني الشرك وكما عبر عنه الراغب بقوله : (إلحاد إلى الشرك بالله ، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب) [٥] ، وكل هذه المعاني اللغوية لا تنفي وجود الخالق بل هي تؤدي الى الشرك في الخلق أو الشرك في التدبير .

أمّا الالحاد اصطلاحاً : أغلب من تناول المعنى الاصطلاحي للإلحاد فلا يتعدى عن كونه الشك في الله[٦] ولكن هذا المعنى ليس هو المراد في مقام البحث ، لأن الشك قد يكون في مجال البحث عن الحق والحقيقة كما في الشك المنهجي ، أو تساوي أدلة النفي والإثبات أو لعدم نهوض الدليل حسب القدرة المعرفية و المعنى المتداول بين أوساط الملحدين اليوم أعم من ذلك ، حيث أنّ المعنى المستعمل في الإلحاد الجديد هو ترك الاعتقاد بوجود إله لهذا الكون سواء على مستوى الخلق أو على مستوى التدبير فقط . وهو ما تعارف عليه الملحدون في الوقت الراهن ليُصبح مذهباً فلسفياً يتبنى فكرة إنكار وجود خالق لهذا الكون ، أي وجد الكون بلا خالق ، وأنّ المادة قديمة ، و ما حدث في الكون من تغيرات كانت قد تمت بالمصادفة ، أو بمقتضى قوانين المادة الفيزيائية

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

وهوما يُعبّر عنه بنظرية الكم ، "وأنّ ظاهرة الحياة ، وما تستتبع من شعور وفكر عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة"(٧) ، ولا ننكر أنّ هناك من الملحدين من يؤمن بوجود الخالق لهذا الكون ، ولكن مهمته تقتصر على الخلق دون التدبير !

المطلب الثاني : الجذور التاريخية للإلحاد :

كان الالحاد في المجتمعات البدائية يقتصر على فكرة ، أنّ الانسان وبحكم الفطرة تمتلكه نزعة التدين والارتباط بالمطلق ، فكان يتجه نحو الموجودات الطبيعية من الشمس والكواكب والرياح وغيرها مما له التأثير المباشر أو غير المباشر على حياته، إعتقاداً منه انها الموجود المطلق الذي لابد من التوجه إليه ليستمد العون منه ، فلم يلتفت الى مسألة الخلق وكيف وِجد في هذا الكون والى أين ، همه معاشه والسبيل الى تحصيله ، فكان التفكير بالمؤثرات الخارجية كالشمس تمده بالدفء والرياح تأتي له بالمطر والكواكب يهتدي بها في ظلمات الليل وغيرها. ثم يتطور الانسان بفكره ليؤمن بوجود الاله على مستوى الخلق ولكن يبقى التدبير لتلك العوامل ، أي ان دور الإله محصور بالخلق دون التدبير، والنتيجة أن (الإله) لا يستحق العبودية أو الانصياع الى أوامره التشريعية ، وبالتالي الوجود والعدم للخالق سيان .

ثمّ يأتي بعد ذلك العهد الإغريقي وقد يكون أول الملاحدة الذي كان له رأي في مسألة الخلق والخالق من الذين عُرفوا وسُجلت آراءهم الإلحادية هو الفيلسوف ديموقريطس"Democritus" (٤٢٠ ق.م)، ظهرت على يده النزعة المادية في اليونان ، حيث جاء في كتاباته عن مبدأ الذرات (العنصر الأوحد والأساسي للكون) ، وهو يعني بنظريته هذه أن لا وجود للإله لأنه عالم مادي بحت و لم يعتمد هذا الكون بأي شكلٍ من الأشكال على القدرة الإلهية أو الغائية(٨) ؛

ثم من بعده الفيلسوف الإغريقي أبيقور(٣٤١ – ٢٧٠ ق. م) الذي أضاف الى سابقه مسألة وجود الشرور في العالم كدليل على عدم وجود إله حكيم يدبر الوجود(٩) أو على أقل تقدير الشك بقدرته كإله أن يمنع الشرور أن تقع .

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

ثمّ جاء العصر الميلادي لتظهر في اليونان كتابات ومؤلفات لملاحدة تنفي وجود الخالق صراحة ، ومن هؤلاء :

١- دياغوراس (٤١٥-٤٦٥م).

٢- كريستياس (٤٠٣ - ٤٦٠ م)

أما من العصر الحديث فقد جاء كلٌ من :

١- الفيلسوف "توماس هوبز"، إنجليزي، ويعد أول الماديين (١٥٨٨ - ١٦٧٩ م)

٢- و مؤسس الشيوعية ، "كارل ماركس"، يهودي ألماني، (١٨١٨-١٨٨٣م) وغيرهم .

المبحث الثاني : مفهوم البنية :

عند ما نريد أن نبحث في معتقدٍ بقصد بيان صحته من فساده لابد أولاً من البحث في مرتكزاته وأسسه المعرفية التي بنى عليها ذلك المعتقد ، فإن كانت تلك الأسس والمرتكزات سليمة ومبنية وفق القوانين العقلية الضرورية ، وليس على التخيل أو الوهم أو القصور العقلي من بلوغ الحقيقة ، كان ذلك المعتقد صحيحاً وإلاّ فلا قيمة عقلية منطقية لتلك الأسس والمرتكزات ، وكان ذلك المعتقد فاسد بفساد أساسه ومرتكزاته ، ويصبح عبارة عن اعتقاد من نسج الوهم والخيال ، كما هو الحال في الكثير من الديانات الوضعية .

فأول سؤال لابد أن يوجه الى صاحب المعتقد هو: عن كيفية بناء المعرفة بأسس ومبادئ ذلك المعتقد سواء كان المعتقد دينياً أو فلسفياً أو أي مجال من مجالات الفكر ، ولذلك ظهر مفهوم البنية – في مجال النقد الفكري والادبي – مع تطور الحياة العقلية في أوروبا ، كانت بدايات الظهور مع عالِم الأنثروبولوجيا (كلود ليفي شتراوس)، حيث أنّه قدم دراسة عن المجتمعات الهندية في البرازيل، جاء من خلال هذه الدراسة تعريف(البنية) : "بوصفها نموذج يقوم الباحث بتكوينه كفرضية للعمل، انطلاقا من الواقع نفسه " (١٠)

ثم جاء بعدَهُ "رومان ياكبسون" الذي يعتبر هو من ابتكر مصطلح البنيوية كمفهوم حديث في ساحة الأدب الغربي ،ثم توالت التعريفات لهذا المفهوم وكما عرفه جون بياجيه بقوله : "هو نسقاً من التحولات، له قوانينُه الخاصة به... وهذه البنية تقوم على ثلاث خصائص وهي:

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

الكلية، التحولات، والتنظيم الذاتي"[١١]، ولكن الباحث يرى أنّ هذا المفهوم أعمق توغلا في التاريخ وكما سنلاحظه من خلال التعريف اللغوي .

البنية لغة :

جاء مفهوم البنية مِن الفعل الثلاثي بَنَى، أيْ شَيَّدَ، وجاء في لسان العرب ، البِنْيَةُ والبُنْيَة؛ ما بَنَيْتَه وهو البِنَى والبُنَى ... البِنيَة الهيأة التي بُنِيَّتْ عليها،... وفلان صحيحُ البُنيَة، أيْ الفِطرة، وأبنَيتَ الرجلَ، أعطيتَه بِنىً وما يَبْتَني به الأرض [١٢]

البنية اصطلاحاً:

كان اللغويون العرب قد أطلقوا لفظة (بُنية) مرة على الأركان أو الأساسات الثابتة للشيء ، أي ما يقوم عليه الشيء ، ومرة قد أطلقوا لفظة (بُنية) على الهيكل برمته ، وكما جاء في الحديث الشريف "بُني الإسلام على خمس ..." ، أي الأركان الإسلام الخمسة . كذلك نجد أنّ النُحاة العرب يستعملون المفهوم بما يُسمى بـ: ثنائية المعنى والمَبْنَى، أي أنّ المبنى هنا؛ المقصود منه الطريقة التي تُبنى بها وحدات اللغة العربية ومفرداتها ، وهو أنّ كل زيادة في المبنى تؤدي الى زيادةٌ في المعنى ، ويعني ذلك أنّ كلُّ تحوُّلٍ في البنية يَنتجُ عنه تحولٌ في الدلالة.

وقد وَظفَ النحاة العرب مُصطلح(البناء) واشتقوا منه مصطلح(المبني)، للدلالة على الحروف وبعضِ الأسماء، والتمييز بينَه وبين المُعرب وأن لفظة "بُنية" بهذه الصيغة لم تكن غريبة عن البيئة العربية ، بل كانت من الالفاظ الشائعة والمتداولة ، عكس ما جاء من بعض النقاد ، أنّهم ينفون ورود لفظة البنية في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف وفي النصوص العربية القديمة من شعرٍ ونثر.

ففي القرآن الكريم، وردتْ ألفاظ مُشتقة من لفظة بنية، تارة بصيغة الفعل (بَنى) وتارة بصيغة الاسم بناء أو بُنيان أومَبنى .

أمّا في الأدب الغربي تطرق الى تعريفه لالاند[١٣] قائلا : "إنها كل مكون من ظواهر متماسكة، يقوم كل جزء منها على ما سواها. [١٤]"

أما "إميل بنفنيست " فيُعرف (البنية) :"على أنّها نظامٌ تتحدد كل أجزائه بمقتضى رابطة، تجعل من اللغة وحدات منتظمة من العلامات (المنطوقة) التي تتفاعل فيما بينها والتي يَدُل بعضُها على بعض"[١٥] .

وفي الجملة فإنّ لفظة بنية تعني "مجموع العناصر – كالمفردات اللغوية – المترابطة والمتماسكة والمُتَّسقة، المكونة لشكل بنائي ما يعبر عن فكر أو سلوك أو معتقد"[١٦] ، وبعبارة أخرى أنّ البنية المعرفية هي خلاصة خبرات الفرد وتجاربه عبر مختلف مراحل حياته والتي تنبثق من تفاعله مع عوامل داخلية وراثية بيولوجية وعوامل خارجية بيئية. "ومما لاشك فيه أن هذه البنية المعرفية تتطور وتنمو بتطور ونمو العمليات والوظائف المعرفية مما يشير إلى تعقدها وتشابكها وينعكس صداها على الفرد وتعاملاته وتفاعلاته في بيئته"[١٧].

المبحث الثالث : الأسس المنطقية لمصادر الإلحاد

قبل أن نحلل ونتبين الاسس المنطقية لمصادر الالحاد ، لابد أن نبين أولاً من أين استقى الملحدون أسس ومبادئ معتقدهم الإلحادي، وما هي تلك المصادر ، من بعدها نستطيع أن نقف على تلك المصادر ونحللها ونتبين قيمتها المنطقية .

المطلب الاول : مصادر معتقد الإلحاد :

إنّ الملاحدة وخلال الحقب التاريخية للإلحاد – بكل أشكاله – كرسوا جهدهم من خلال كتاباتهم أمّا نفي مطلق الوجود الإلهي ، أو نفي الدور التدبيري لهذا الكون بأي نحو من الانحاء التكويني أو التشريعي ، وبالتالي فهو أمّا اعتقاد بعدم وجود إله أصلاً ، أو أنّه لا أهمية لوجوده ، والنتيجة هو فك الارتباط بين الله والطبيعة ، وكذلك بين الله والانسان ، وينتج من فك الارتباط هذا نتائج خطيرة عدة سنُبيّنها .

هذه النتيجة بُنيت في اعتقاداتهم على مصادر معرفية ثلاث هي[١٨] :

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

❖ **المصدر الأول (فلسفي)**

استندت البنية المعرفية الالحادية على انكار وجود الخالق لهذا الكون على ثلاث فرق من الفلاسفة كمصادر معرفية لتثبت زعزعة أدلة وجود الله :

الفريق الاول يتبنى القول : على أنّه ليس هناك أي منهج معرفي يصلح ليثبت مسألة وجود الله وأبرز القائلين " ديفيد هيوم"[١٩] و " إيمانويل كانط"[٢٠] .

أمّا الفريق الثاني يتبنى القول : بعدم صلاحية أي مبادئ أو أدلة تثبت ما هو خارج نطاق دائرة الحس والتجربة ، ومن أبرز القائلين "جون لوك"[٢١] .

أمّا الفريق الثالث : على من قال : أنّ الفيزياء التجريبية أو ما يسمى بنظرية الكم قد أثبتت بعدم وجود أية مبادئ مطلقة الصدق في الابحاث الفيزيائية الكلاسيكية ، فضلاً عن تلك المبادئ التي تثبت كأدلة على وجود الخالق لهذا الكون[٢٢] .

❖ **المصدر الثاني (الشرور)**

من الأسباب التي يطرحها الملحدون كدعوى على إقامة الدليل على عدم وجود خالق لهذا الكون ، هي مسألة الشرور ، وهي من أكثر مبررات الإلحاد انتشاراً كونها أقرب الى الفهم العام وترتكز على حكم عقلي أولي يمتاز بسهولة الهضم من عموم الناس ، وهذا الحكم يعني وحدة السنخية بين العلة والمعلول إذ لابد أن يكون المعلول مناسباً لخصوصيات علته ، كما في النار تحرق والماء يبرّد ، ودعوتهم أنّه لو كان هذا العالم – بما فيه من فساد– معلولاً من قبل إله صانع وموجد ، ومعنى الإله هو من يفيض على الموجودات الوجود و الكمال ، ويقتضي كذلك أن يكون هذا الصانع والموجِد بمنتهى الكمال والقدرة ، فلابد أن يكون العالم لا نقص فيه ولا فساد ، لاعتبار وحدة السنخية بين العلة والمعلول . وبما أنّ الواقع غير ذلك استنتج الملحدون بعدم وجود إله لهذا الكون ، على مستوى الخلق أو على مستوى التدبير .

❖ **المصدر الثالث (امتناع قبول فكرة أله في الغيب)**

وهو امتناع فكرة وجود إله خالٍ من كل صفات الوجود المادي ، أي أنّه ليس بجسم ولا في مكان و لا في زمان وليس محكوم لجهتي الزمان والمكان ، باعتبار أنّ هذه صفات الوجود المحتاج في

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

وجوده ، والإله لابد أن يكون غنياً في وجوده ، فهو الخالق لكل الصفات هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أنّ هذا وصف للفظ فارغ من أي معنى لا يستطيع العقل تصوره ، أي ليس سوى النظر الى العدم ، فكيف نتصور وجوداً هذه أوصافه ، فمهما أجهدنا انفسنا لنتصور معنى ما وايجاده ذهنياً ، أمّا أن ينصرف الذهن الى الوجوديات المادية أو يرجع خائبا بعد النظر في الفراغ والعدم ، ومن هذا نستنتج أن فكرة الإله هي مجرد لفظ ليس له معنى يطلق على فاقد صفات الوجود .

المطلب الثاني : القيمة المنطقية لمصادر الالحاد :

القيمة المنطقية للمصدر الاول : للوهلة الأولى نرى أن الملحدين نهجوا التقليد في اعتقادهم الإلحادي واتّكلوا على أقوال لم تمحص من قبلهم ، فهم – الملحدون– الأعم ليسوا متخصصين في حقول المعرفة الفلسفية ، فهم ليس لهم القدرة على معرفة مدى صواب مقولة القائل من هؤلاء الفلاسفة ، والدوافع والخلفيات التي تكمن وراء قوله ، أو معرفة صحة نسبة القول الى قائله ، ثم الانتقائية في الاقوال ليس الطريق المنطقي للبحث عن الحقيقة .

وإذا نظرنا في القاعدة – في الفلسفة التجريبية التي بنى عليها الملحدون أساس معتقدهم – التي تقول : إنّ الحقيقة ما تثبته التجربة ، وليس هناك أي حقائق أو معارف بشرية خارج اطار التجربة ، ومن العبث أن يبحث الانسان في الميتافيزيقيا ، كإثبات الخالق لهذا الكون . فهل تساءل الملحدون عن المصدر المعرفي لهذه القاعدة ، هل كان مصدرها معرفة أولية قد حصل عليها الانسان من دون تجربة ؟ أو أنّها بدورها – أيضاً كما يعتقدون – كسائر المعارف البشرية ليست فطرية ولا ضرورية؟ فإن أجابوا أنّ مصدرها معرفة أولية سابقة على التجربة ، قلنا : بطل المذهب التجريبي وانهدمت القاعدة لأنهم لا يؤمنون بالمعارف الأولية ، وقد أثبتوا للإنسان معلومات ضرورية خارج نطاق التجربة كالعلية واستحالة اجتماع النقضين . وإن كان قولهم أن المعرفة محتاجة الى تجربة سابقة ، وليس هناك معرفة قبلية ، و هنا نتساءل كيف لنا أن ندرك في بداية الامر أنّ التجربة هي مقياس منطقي مضمون الصدق ، و كيف تمت البرهنة على صحة هذه القاعدة والتأكد من صوابها ، فإن كان الجواب بلا تجربة ، أي أنّها قضية بديهية ، هنا أثبتوا كذلك أنّ الانسان "يملك حقائق وراء عالم التجربة ، وإن كانوا قد تأكدوا من صوابها بتجربة سابقة

فهو أمر مستحيل لأن التجربة لا تؤكد قيمة نفسها"[٢٣]. أضف الى ذلك أنّ المفهوم الفلسفي الذي يرتكز عليه التجريبي عاجز عن إثبات المادة فضلاً عما وراءها من الامور الميتافيزيقية والعقلية البديهية كاستحالة التناقض (وجود الشيء وعدمه) ، وصدق القضية وكذبها في آن واحد ، وكذلك عجزهم عن إعطاء تعليل صحيح للعلية كفكرة تصورية [٢٤] . فبعد هذا العرض المقتضب لعجز المذهب التجريبي و الحسي في اثبات صحة مبادئهم الفلسفية ، فهل يصح أن يستند عليه الانسان كمصدر معرفي في إثبات أو نفي أخطر فكرة عقدية هي فكرة وجود الخالق ومدبر لهذا الكون.

أقول : كم من النظريات الفلسفية التي كان لها اليد الطولى في ساحة الفكر الانساني وأثبتت نظرتها أول الأمر بقوة العقل والمنطق ، ثمّ ما لبثت أن انقلب عليها أصحابها ، أو استفحل عليها الزمن ليجد من يفندها و يسفه أقوال قائلها ، ألا يحتمل أن تكون هذه الاقوال من باب النظرة العلمية القديمة[٢٥] ، التي كانت من نتاج تطور العقل التجريبي ، حيث إن الحضارة الغربية من عصر النهضة الى أواخر القرن التاسع عشر تخضع لسلطان العلم التجريبي ، ولا شيء خارج المعرفة الحسية وليدة التجربة ، وحتى الانسان منشؤه وما يحمل من مشاعر وعواطف وانفعالات ومعتقدات ما هو إلاّ نتاج تراصف عرضي للذرات كما يعبر برتراند رسل عام ١٩٠٣ميلادي[٢٦] ولكن العلم تقدم خطوات واسعة على هذه الاقوال و أحدث ثورات مثيرة في الفيزياء على يد اينشتاين وبور وهايزنبيرغ وعلم الاعصاب على يد شرنغتون و اكلس وسبري وعلم النفس على يد فرانكل وماسلو وعلم الكونيات وخاصة نظرية "الانفجار العظيم" و "المبدأ الانساني" فهذا التقدم العلمي الذي بين التصور الحقيق للإنسان ومكانته والذي قلب الرأي المادي وكذبه[٢٧] . إذا لم يستطع هيوم وكانت ايجاد منهج معرفي للدلالة على وجود الخالق لهذا الكون في زمانه فهذا لا يعني توقف الزمن عند (هيوم ، وكانت) في نظرياتهما ، بل وِجدت بعدهما مناهج تُثبت الوجود[٢٨] ، فضلاً عن تسفيه الاقوال القديمة .

المصدر الثاني : إشكالية الشرور : ان مسالة الشرور تناولها الفلاسفة قديماً وحديثاً وأشبعوها تحليلاً وتفصيلاً من زمن افلاطون الى يومنا هذا ، فلا تصلح أن تكون دليلاً وحجة على عدم وجود

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

ذات فاعلة حكيمة تدير شؤون العالم وتدبره . وهذا دليلٌ آخر على أن الملاحدة لم يكن عندهم الاطلاع الكافي في زوايا الفلسفة ، على أنّ هناك نظريات خمس تناولت حقيقة الشرور هي :

١- زيادة الخير وقلة الشر ، تنسب الى ارسطو ، وتوجد كلمات لابن سينا تشير اليها، فالعالم كله خير لا شر فيه في عالم المجردات ، والخير أكثر من الشر في عالم الماديات ، وليس من الحكمة ترك الخير الكثير بسبب شر قليل.

٢- ضرورة الشر القليل لأجل الخير الكثير ، حظيت هذه النظرية بتأييد واسع من الفلاسفة الشرقيين والغربيين ، مفادها لا يُعرف الخير إلاّ بالشر ، ولا تُدرك السعادة إلاّ بالشقاء ، والقول المنسوب الى الإمام الغزالي (ليس بالإمكان أحسن مما كان).

٣- الضرورة الروحية والتربوية للشر ، أي خُلق الانسان في طريق التكامل ، تُنسب الى القديس إيريناؤس ، ودافع عنها جون هيك .

٤- نظرية الشر والاختيار ، تُنسِب الشر في العالم الى المخلوقات المختارة من الجن والانسان ، تُنسب الى القديس أوغسطين ، ومن المعاصرين ريتشارد سوينبورن و جي إل ماكي .

٥- وكان من أشهرها نظرية عدمية الشر ، وهي نظرية عالمية في الفكر الهندوسي والفكر الاسلامي والفكر الغربي الحديث ، مفادها أنّ الشر ليس من أنواع الوجود العيني حتى تُنسب الى خالق أو ذات فاعلة وإنّما هو خلاء وعدم ، سواء الشرور الترجيحية ، أو الشرور الطبيعية[٢٩] ، يرى الباحث أنّها النظرية الأقرب الى الواقع والتي تبين حقيقة الشرور في العالم ، وهي في الوقت نفسه كدليل قوي على وجود الله تعالى وقدرته ، حيث أنّ الله خلق العالم وفق قانون كوني صارم ، و أنّ هذا النظام الدقيق والجبار الذي يحكم العالم ، وهذا الترابط البديع والمذهل بين الموجودات ، فليس هناك موجود شذ أو مال عن الانصياع للقانون الكوني (السنة الكونية) إلاّ وارتطم بحقيقة الفناء والإعدام وهو ما يسمى بالمقياس البشري شراً ، وليس هناك مكان حل فيه لطف الله ويد العناية الإلهية إلاّ كان فيها خيراً محضاً ، وما تحل الشرور إلاّ في أماكن لم يشملها لطف الله وعنايته.

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

أضف الى ذلك أنّ مسألة النقص والتناقض هو في حقيقته من خصوصيات العالم المادي ومكوناته التي تقتضي التزاحم والتعارض ، الذي هو حقيقة الاشياء ومن مقوماتها .ففرض العالم خالٍ من النقص الحاصل لبعض مكوناته نتيجة التصادم بين مؤثراتها --- التابعة لمقوماتها سيكون فرضا متناقضا لأنّه يعني ان تلك الاشياء ليست نفسها وان العالم ليس هو العالم [٣٠]

المصدر الثالث : امتناع قبول فكرة إله في الغيب : وهو امتناع فكرة وجود إله خالٍ من كل صفات الوجود المادي ، أي أنّه ليس بجسم ولا في مكان و لا في زمان وليس محكوماً لهما .و أنّ الملحد ولكي يؤمن بوجود الإله لابد أن يكن هذا الإله حاملاً لصفات الوجود (الممكن المتناهي) حتى يعقله ويؤمن بوجوده ، وهذ خلاف مقتضى الحقيقة التي تفرض أن يكون وجود الإله وجوداً لا متناهياً .إنّ العقل يثبت وجود الله تعالى من خلال الكثير من الأدلة التي صاغها الفلاسفة منها الدليل الانطولوجي الذي صاغه القديس انسليم[٣١] خلال القرن الحادي عشر الميلادي ، ومفاده أن وجود الله وجوداً ضرورياً و مطلقاً وليس عرضياً و أنّه مختلف عن وجود غيره كونه يحمل الكمال المطلق ،في حين غيره محكوماً بالوجود والعدم[٣٢] . وهو ما يعني ان العقل يفرض ان يكون وراء هذا الوجود البديع وما فيه من تناغم بين مكوناته ومحكوم بقوانين غاية في الدقة لابد أن يكون اكمل الأشياء وهو علة وجودها قاطبة. وكما عبر عنه (ديكارت) أن الله جعل فينا فكرة (الجوهر اللامتناهي) كفكرة فطرية ليمكن من خلالها اثبات وجوده، اذ تستند العلاقة بين هذه الفكرة ووجود الله الحقيقي إلى العلية والسنخية. فديكارت اعتبر أنّ فكرة الكمال اللامتناهي للأصل الضروري هي فكرة متجذرة في الذهن البشري دون ان يكون لها أساس حسي وتجريبي، لذا كان من الطبيعي ان يستنتج بأنها صادرة عن حقيقة موضوعية تمثل ذات الإله المتعال، وإلا كيف نفسّر وجودها الفطري في العقل البشري؟!

"فكما رأى هذا الفيلسوف انه اذا كانت فكرة الجوهر اللامتناهي موجودة فينا ، ونحن جواهر متناهية، فمن الضروري ان يكون مصدر هذه الفكرة حقيقة موضوعية لشيء غير متناه هو الذي وضع الفكرة فينا"[٣٣]. ففي الجوهر اللامتناهي وجود أكثر مما في الجوهر المتناهي، وبالتالي لا يفسر هذا الحال إلا الواقع الموضوعي للحقيقة الإلهية، مشيراً إلى ان هذه الفكرة تسبق في أذهاننا

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

لفكرة (المتناهي)، أي ان الله سابق لذواتنا، وإلا كيف نعرف اننا نشك ونرغب، أو اننا أشياء ناقصة لو لم يكن لدينا فكرة عن كائن هو أكمل من كياننا نعلم بالقياس عليه ما في طبيعتنا من عيوب؟ "وعليه انتهى هذا الفيلسوف إلى ان فكرة الله الكامل هي فكرة واضحة جداً وتتضمن من الوجود الواقعي أكثر من أي فكرة أخرى، وبالتالي لا يوجد اصدق منها"[٣٤] .

لقد نحا ديكارت نحواً افلاطونياً لتبرير اعتقاده بالله، بل واستعان بالعلية والسنخية لاثبات الوجود الالهي، معتبراً الذات البشرية جوهراً حاملاً لفكرة الكمالات، لذلك لا بد ان يكون لها أصل من الشاكلة نفسها كما يتمثل بالحقيقة الإلهية الكاملة[٣٥] .

خاتمة البحث :

عند النظر في البنية المعرفية للإلحاد وجدنا أنّها بُنيت وفق أنماط خاطئة للتفكير لا تراعى قواعد المنطق سواء في الرؤية الفلسفية التي اعتمدها الملحدون ، أو الرؤية العلمية والنظرة الكونية في مسألة الشرور . والحقيقة اتضحت بعد تحليل مبتنياتهم العقدية أنّ هناك أسباباً تقف وراء موقفهم الالحادي نجملها بالنقاط التالية :

١- تأثر الملحدون بالأقوال التي تُنكر وجود أدلة على وجود الله .

٢- إنّ عملية الانفلات من أي رابط وإيمان بالغيب ، و عدم الالتزام بالقيم الاخلاقية والدينية أسهل الى النفس من الالتزام والطاعة بالشرع الديني ، أضف الى ميول النفس للانغماس بالملذات المادية والانفلات من القيم الاخلاقية والروابط الدينية .

٣- النظريات المادية والتجريبية أقرب وأسهل الى فهم العامة من الناس .

٤- إنّ العيش وفق الفطرة السليمة هو الامر الطبيعي في حياة الانسان ، أمّا التشدد والعنف فهم الامر غير الطبيعي ، وما يبرز للعيان فهو الامر غير الطبيعي حتماً، ويُنسب الى الدين مما يجعل الفرد ينفر من الدين .

٥- الحرية الفردية فصمت عرى الارتباط العائلي ، أدى الى التقصير في التربية الاخلاقية والدينية ، انسحب ذلك الى الانحراف في المعتقد .

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

هوامش البحث :

(١) ينظر : من تاريخ الالحاد في الاسلام : د . عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠م ، ٥

(٢) موت الله، هو قول اقتُبس على نطاق واسع من الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه استخدم هذه العبارة للتعبير عن فكرته بأن التنوير قد قضى على إمكانية وجود الله

(٣) سورة الحج – آية : ٢٥

(٤) ينظر: ، تهذيب اللغة : الأزهري ، ط١/ إحياء التراث العربي – بيروت (٢٢٤/٤)، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت (٣٨٩/٣)، الفيومي، المصباح المنير، ط/ المكتبة العلمية – بيروت (٢ / ٥٥٠)

(٥) مفردات غريب القرآن ، 448

(٦) الموسوعة الإسلامية العامة : إشراف :محمود حمدي زقزوق ، القاهرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ، ١٩٧

(٧) ينظر: كواشف زيوف : عبد الرحمن الميداني ، ط٢/ دار القلم – دمشق (ص ٤٦٤)، محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ط١/ دار الشروق – القاهرة ، ٦٠٥.

(٨) ديموقريطس ، موسوعة استانفورد : ديموقريطس ،ترجمة : محمد أبو شعبان ، مراجعة : مصطفى الحفناوي (كتاب الكتروني)

(٩) الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)

(١٠) ينظر : تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة: دراسة في نقد النقد، محمد عزّام ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، طبعة ٢٠٠٣، ١٤.

(١١) تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ٢٠.

(١٢) لسان العرب : ابن منطور، جذر بنى، جزء ١٥، ٩٣-٩٤.

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

(١٣) أندريه لالاند، فيلسوف فرنسي، حاصل على شهادة دكتوراه في الأدب، اشتغل أستاذا مساعدا في قسم الفلسفة بالسربون، ألفَ المعجم الفلسفي المشهور بمعجم لالاند.

(١٤) البنية في اللسانيات : إميل بنفنست، تعريب: حنون مبارك، مجلة دراسات أدبية ولسانية، المغرب ١٩٨٦،٢٦

(١٥) المصدر نفسه ، ٢٨

(١٦) محاضرات علم النفس المعرفي :أد: طالب سوسن، البريد الالكتروني : talebsaoussane٥٣@gmail.com

(١٧) المصدر نفسه

(١٨) ينظر : الالحاد : أسبابه ومفاتيح العلاج : محمد ناصر ، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية ،ط١، ٢٠١٧ م ، ٧٢

(١٩) استعلام عن الفهم البشري (مبحث في الفاهمة البشرية : ديفيد هيوم ، ، ترجمة :موسى وهبة ، دار الفارابي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ١٨٥.

(٢٠) نقد العقل المحض : الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت ، ٢٩٦

(٢١) مقال خاص بالفهم البشري : لجون لوك ، بقلم محمد فتحي الشنيطي ، ٤٣٦

(٢٢) مبدأ السبب الكافي: إعادة تقييم (دراسات كامبردج في الفلسفة(الكسندر ، ر، بروس) ١٢٠،

(٢٣) ينظر :فلسفتنا ، الشهيد محمد باقر الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، ط٣ ، ٢٠٠٩م : ١١٨

(٢٤)ينظر : المصدر نفسه ١١٨ وما بعدها

(٢٥) كما عبر عنها أصحاب كتاب العلم في منظوره الجديد(المادية العلمية التي تؤكد أن لا وجود إلاّ للمادة وان الاشياء جميعا قابلة للتفسير بلغة المادة فحسب ، وهكذا يتحتم أن تكون حرية الاختيار وهما من الاوهام ما دامت المادة غير قادرة على التصرف الحر) (العلم في منظوره الجديد : ١٥)

م. د. كريم عبد حمزة الكلابي / كلية الطوسي الجامعة
kareem.abed@altoosi.edu.iq

(٢٦) ينظر :العلم في منظوره الجديد :١٥،

(٢٧) ينظر : العلم في منظوره الجديد :١٦

(٢٨) ينظر : العلم في منظوره الجديد ، 59

(٢٩) إنّ الشرور في العالم على ضربين ، شرور ترجيحية كالتفاوت الحاصل بين الأفراد ، شخص بصحة وآخر مريض، أو شخص غنى وآخر فقير وغيرها من الترجيحات بين أبناء البشر ، وهناك شرور طبيعية كالزلازل والبراكين والهزات الارضية المدمرة والاوبئة وغيرها ، فالمرض والفقر والموت والجهل وغيرها كلها شرور و لا ننكر حقيقة وجود الشر ولكن من نوع العدميات والفراغات ، أي ليس على نحو الوجود العيني ، وإنما هي خير ناقص ، فالمرض صحة ناقصة ، والفقر غنى ناقص فليس هناك حقيقة ذاتية اسمها مرض أو فقر أو جهل ، كذلك الشرور الطبيعية فهي في حقيقتها ليس شرا، فالحيوانات المفترسة أو الفايروسات ليس في حقيقتها شراً ، ولكنها تؤدي الى العدم والفناء، أو لآنها مستلزمة العدم فهي من هذه الجهة شر . (ينظر : العدل الالهي : مرتضى مطهري ، صفحة١٥٦ وما بعدها)

(٣٠) ينظر : العدل الالهي : مرتضى مطهري، ٢٤٢

(٣١) الفيلسوف واللاهوتي الكبير القديس انسليم جعل من اثبات وجود الله عقليا مهمة وهدفا للفلسفته ولاهوتيه طوال حياته.ولد القديس انسليم في مدينة اوست على حدود الفرنسية الايطالية سنة ١٠٣٣م.(د. حسن حنفي، نصوص من الفلسفة المسيحية في القرون الوسطى، ٢٠٠٥، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٧.)

(٣٢) الله كبرهان على وجود الله : جوزيف سايفرت ، ترجمة وتقديم حميد لشهب، دار افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠١م ، ٦٥

(٣٣) تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى : رينيه ديكارت ، ترجمة كمال الحاج، منشورات عويدات ، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨م ، التأمل الثالث، فقرة ٢٥.٢٢، عن مكتبة الموقع الإلكتروني: .www.shared.com٤.

٣٤) المصدر نفسه

٣٥) المصدر نفسه الفقرة ، ٣٥

مصادر البحث :

القرآن الكريمِ

١- استعلام عن الفهم البشري ، مبحث في الفاهمة البشرية : ديفيد هيوم ، ترجمة :موسى وهبة ، دار الفارابي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

٢- الالحاد : أسبابه ومفاتيح العلاج : محمد ناصر ، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية ،ط١، ٢٠١٧ م .

٣- البنية في اللسانيات : إميل بنفنست، تعريب: حنون مبارك، مجلة دراسات أدبية ولسانية، المغرب العدد٢ ١٩٨٦، .

٤- تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى : رينيه ديكارت ، ترجمة كمال الحاج، منشورات عويدات ، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨م .

٥- تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة: دراسة في نقد النقد، محمد عزّام ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، طبعة ٢٠٠٣ .

٦- تهذيب اللغة : الأزهري ، ط١/ إحياء التراث العربي – بيروت .

٧- العدل الالهي : مرتضى مطهري، ترجمة : محمد عبد المنعم الخاقاني (كتاب الكتروني).

٨- العلم في منظوره الجديد : روبرت م أغروس ، جورج ن . ستانسيو ، ترجمة كمال خلايلي (كتاب الكتروني).

٩- فلسفتنا ، الشهيد محمد باقر الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، ط٣ ، ٢٠٠٩م .

١٠- كواشف زيوف : عبد الرحمن الميداني ، ط٢/ دار القلم – دمشق .

١١- لسان العرب : ابن منظور ، ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، دار صادر – بيروت .

١٢- الله كبرهان على وجود الله : جوزيف سايفرت ، ترجمة وتقديم حميد لشهب، دار افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠١م .

١٣- محاضرات علم النفس المعرفي :أد: طالب سوسن ، موقع الالكتروني: @gmail.com٥٣talebsaoussane .

١٤- مذاهب فكرية معاصرة : محمد قطب، ط١/ دار الشروق – القاهرة .

١٥- المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس ، تح: عبد العظيم الشناوي ، ط/ المكتبة العلمية – بيروت .

١٦- من تاريخ الالحاد في الاسلام : د . عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

١٧- موسوعة استانفورد : ديموقريطس ،ترجمة : محمد أبو شعبان ، مراجعة : مصطفى الحفناوي (كتاب الكتروني) .

١٨- الموسوعة الإسلامية العامة : إشراف :محمود حمدي زقزوق ، القاهرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

١٩- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) .

٢٠- نصوص من الفلسفة المسيحية في القرون الوسطى : د. حسن حنفي، ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٧ .

٢١- نقد العقل المحض : الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت ، ترجمة : موسى وهبة ،مركز الانماء القومي ، لبنان – بيروت .